□ ليالي الشمال الحزينة

زمن لا يجيء :

زمنٌ لا يعود غداً ،

فيه نبقى معاً ،

فيه نقتسم الحلمَ ،

والفرح المتصبِّبَ تحت شموس المدينةِ ،

فيه يعرفنا الباعة الجائلونَ ،

ومنتديات الشراب الطعينة

*** ***

زمنٌ لا يجيء غداً ،

فيه صوتك يفجأني بالزيارةِ ،

ويسائلني عن قصائد حبٍّ ،

وحرية ، وانتماء

*** ***

فجأةً ،

يتصاعد لحن العذابِ ،

تتفتَّحُ في شفتيك الورود المصونة

ثم نقتسم الفرْحَ ،

يصبح للصمتِ طعمٌ ،

وللمستحيل وجودٌ ،

وللكلمات سكينة

*** ***

خفقةً خفقةً نتوحَّدُ ،
ما بيننا يتجمع نبض الحنانِ ،
على حلقات الدُخَانِ ،
ويعلو ،
وفيروز تشدو :
ليالي الشمال الحزينة

*** ***

زمنٌ لا يجيء غداً ،
فيه نبقى معاً ،
نتحدى عيون السلاطينِ ،
برج الرقابةِ ،

أكمنة المخبرينَ ،
وتجيئين فيه بسِفْرِ الخروجِ ،
وتفرِّين عند تنبُّههم ،
بينما أترنَّحُ ،
في سجن خوفي عليكِ ،
وعيناي عالقتان بخضر المروجِ ،
تفرِّين تاركةً في ضلوعيَ رعداً ،
يدمدمُ ،
لا ينتهي بالأمانِ ،
ولا بانتهاء الأمانْ

***

زمنٌ لا يجيء غداً ،
لن تكون مواعدةٌ ،

من جديدْ

***

ربما في غدٍ ،
أتذكر عينيكِ من شرفة النفي ،
سيَّانِ أن تتحطَّمَ ،
أو تتمكَّن من معمصميَّ القيودْ

*** ***

ربما ،
أتذكرُ وجهكِ ،
في ذات يومٍ ،
أُمدِّدُ ظهريَ فيهِ ،
على شاطيءٍ ،
تتلاطمُ أمواجهُ في ضلوعي ،

وعينيَ مغمضةٌ فوق حصرة قلبي ،
على زمنٍ لا يعودْ
*** ***

ربما في غدٍ ،
أتذكر ملمس كفِّكِ ،
حين أصافح من لا أريدْ
أتذكر حتى تذوب ملامحه ،
ملمحاً ملمحاً ،
وتحل ملامحك الغائباتُ ،
فأسند رأسي بكفِّي ،
وتهوي بيَ الأرضُ ،
تهوي إلى قاع بحرٍ عميقٍ ،
بعيدْ

***

ربما في غدٍ ،
أتوكَّأُ فوق بقاياكِ ،
أخرج للطرقاتِ بطيئاً ،
صموتاً ،
بشَعرٍ كثيفٍ ،
ووجهٍ مخيفٍ ،
وكفايَ معقودتان ورائي ،
أسائل عنكِ المحطاتِ ، والطلقاءَ ،
وأسأل عنكِ الشبابيكَ ، والسجناءَ ،
وأسأل عنكِ العذارى ،
وطلعتها في الصباح على ساحة الدرسِ ،

أسأل عنكِ البيوتَ ، التي لا تنامُ ،
وأسأل عنكِ الليالي التي حرَّرتنا ،
ليالي الزمانِ ، الزمان الشهيدْ

***

آهِ ماذا سيحدث لي ،
لو تذكَّرتُ وجهكِ يرتاح فوق ذراعي ،
وتذكرتُ أهداب عينيكِ ،
تسحبني ، وتهرِّبني للسهولِ ،
وتعتقني للمراعي ؟

***

ما الذي سوف يحدث لي ،

غير أني سأصلب نفسي ،

فوق رخام الميادينِ ،

حول التماثيلِ ،

عند رؤوس الشوارعِ ،

أُعلنُ ،

أني نُفيت عن الأرض قهراً ،

وأنكِ حوصرتِ في البيت قسراً ،

أموتُ ،

وكفيَ مرفوعةٌ للسماء البعيدةِ ،

كفي مجلجلةٌ بقيود الحراسةِ ،

تصرخ في أوجه الرائحينَ ،

وفي أوجه العائدينَ ،

وتعلن في كل جيلٍ يجيءُ ،

وجيلٍ ،

بأن كتاب الخروجِ ،

باطلٌ لا يعيد المروجَ ،

وأن سناكِ المضيءْ

زمنٌ لا يجيء